القيم الجمالية في الزخرفة الإسلامية بالعمارة الغرناطية

The aesthetic values in the Islamic decoration of the architecture of Granada

د.لحلو سمهان

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

lahou4smahan@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019-03-30	تاريخ القبول: 2021-01-08	تاريخ النشر: ديسمبر 2021

الملخص:

لقد عبر الفن المعماري الغرناطي عن عظمة التطور الحضاري الذي عرفة مملكة غرناطة ،لأن الصناع ورثوا عن الإسلام وسائل التعبير الأساسية من حيث الفكرة والمادة وأصبحوا أساتذة في هذا المجال،وأوصلوا فن الزخرفة إلى ذروة الإبداع ،وهذا ما جعل الزخرفة الإسلامية تحمل في طياتها العديد من القيم الجمالية والأبعاد الحضارية الفلسفية .

الكلمات المفتاحية: القيم الجمالية؛ زخرفة ؛ الإسلام ؛ العمارة -؛غرناطة

Abstract

The Granada architecture expressed the greatness of the civilized development of the Kingdom of Granada, because the craftsmen inherited from Islam the basic means of expression in terms of the idea and the material and became masters in this field. They brought the art of decoration to the height of creativity. This made the Islamic decoration carry many values. The aesthetic and philosophical dimensions of civilization.

Key words: Aesthetic values - decoration - Islam - architecture – Granada

مقدمة:

في الوقت الذي توالت فيه النكسات على بلاد الأندلس ،وأخذت فيه الممالك الإسلامية تتساقط الواحد تلوى الأخرى في يد الاسبان. قامت مملكة إسلامية في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة الإيبيرية ألا وهي مملكة غرناطة. على يد الزعيم "محمد بن يوسف بن نصر" المعروف بابن الأحمر الذي استطاع هو ذريته أن يجمعوا شتات هذه المملكة والصمود أمام المد الإسباني لمدة قرنين ونصف قرن من الزمن.

شهدت غرناطة في ظل حكم بني الأحمر اكتظاظا سكانيا رهيبا ، وذلك راجع إلى تدفق الوافدين عليها من المدن الأندلسية التي سقطت في أيدي الإسبان. وبرز فن العمارة الإسلامية في أبهى حلته، فقصر الحمراء وحده يعد من أرّوع القصور في تاريخ العمارة الإسلاميّة. فالزائر والمتأمل في عمران غرناطة يلاحظ تنوع الأشكال الزخرفية بشكل ملفت للانتباه في أغلب المنشآت إن لم نقل كلّها ، السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقال : ما هي الزخرفة الإسلامية؟ و ما هي أهميتها في العمارة الغرناطية ؟ ما هي أهم الأشكال الزخرفية التي عرفها العمران الغرناطي؟وما هي المواد التي استخدمت في الزخرفة الغرناطية؟، وما هي القيم الجمالية التي جسدتها الزخرفة الإسلامية بالعمارة الغرناطية؟.

و سنعالج هذا الموضوع وفق النقاط التالية:

- تعريف الزخرفة الإسلامية
- التعريف بمملكة غرناطة
- نبذه عن العمارة الغرناطية .
- القيم الجمالية للزخرفة الإسلامية في العمارة الغرناطية.

أولا: التعريف بالزخرفة الإسلامية:

الزخرفة لغة اشتقت من الفعل الرباعي (زخرف)، عرفه ابن منظور في لسان العرب قائلا: «زخرف:الزُّخرُفُ :الزينة.ابن سيده:الزُّخرِفُ الذَّهبُ ،هدا الأصل ،ثم سُمِّيَ كل زينةٍ زُخرفا ،ثم شُبِّه كل مُموَّهٍ مُزَوَّرٍ به، وزَخرفَ البيت زخرفه :زيَّنهُ وأكملهُ.وكلّ ما زُوِّقَ وزُيِّنَ فقد زُخرفَ... والزُّخرفُ في اللغة :الزِّنة وكمالُ حُسنِ الشيء. والمزخرفُ:المُزيَّنُ»[1].

أما اصطلاحا فقد تنوعت التعريفات التي وضع لها و سنذكر بعضها على سبيل المثال ما ورد في معجم المصطلحات حين قال: « أما الزخارف في المصطلح الأثري الفني فهي النقوش التي يَجمل بها البناء سواء كانت في الجص أو حجر أو خشب أو رخام أو غيره، »[2].

تعتبر الزخرفة علما من علوم الفنون التي تبحث في الفلسفة التجريدية والنِّسب والتناسب والتكوين والفراغ والكتلة واللون والخط ،وهي أهم الفنون التشكيلية وأعظمها أثرا في اكتساب معظم المنتجات الحرفية وغيرها - من مختلف الصناعات - قيما جمالية جذابة توحي للفنان وتكون مصدر إلهامه وخياله[3].

يعود تاريخ الزخرفة إلى فترة ما قبل التاريخ حيث قام الإنسان البدائي بالرسم على جدران الكهوف، ثم تطورت من عصر إلى آخر حتى وصلت على ما هي عليه الآن ،كانت قمة تطورها في عهد الدولة الإسلامية.

تحدث "عاصم محمد زورق"عن الزخرفة الإسلامية في معجمه فقال: «وقد حظيت هذه الزخارف في العمارة والفنون الإسلامية بعناية خاصة ومستمرة حتى بلغت شأوا كبيرا من الجودة والإتقان والتنوع نتيجة جهود متواصلة بذلها الفنانون المسلمون في هذا المضمار عندما حفروا الخشب وصقلوا الأبواب وكفنوا المعادن ،وثقبوا الأحجار ونقشوا الجص ولوَّنوا الخزف ونزلوا الرخام وغير ذلك »[4].

إن أهم خاصية تميَّزت بها الزخرفة الإسلامية هي "خاصية الهروب من الفراغ«إذ لم يتركوا مساحة أو سطحا إلا وزينوه أو زخرفوه، وأكبر دليل على ذلك ما نراه في البيوت المشرقية القديمة التي تزدحم جدرانها وتزدان بالزخارف مما جعلها محط أنظار المشاهدين من شتى بقاع العالم.»[5]. وطبيعي أن تدفع "كراهية الفراغ" الفنانين المسلمين إلى الإقبال الشديد على الزخرفة.

يمكن تقسيم الزخرف الإسلامية إلى أربعة أقسام أساسية هي:

أ – **زخارف كتابية :**وهي عناصر زخرفيه تتألف من الخط الكوفي والنسخ.

ب- زخارف نباتية: وهي عناصر زخرفيه مستمدة من الأوراق والفروع والأزهار.

ج- زخارف حيوانية : وهي عناصر زخرفيه مكونة من الطيور والحيوانات وغيرها.

د- زخارف هندسية :أساسها الأشكال الهندسية المنتظمة والمتداخلة والمتشابكة مع بعضها البعض.[6]

إن اندفاع الفنان المسلم وحماسته في ميدان الزخرف، أدى به إلى إبداع اتجاه جديد في هذا الفن وهو **"الأرابسك**[7]" أو ما يسمى **"زخرفة التوريق"** إذ أنه لم يهتم بنقل عن الطبيعة نقلا صادقا بل أخذ يعبث بالعناصر الطبيعية ولا سيما النباتية.فخرج فن "الأرابسك" إلى النور على شكل تحف فنية رائعة.

كانت هذه لمحة عامة عن الزخرفة الإسلامية و التي بلغت في الأندلس مرحلة متقدمة من مراحل الإبداع فيها ، بحيث كانت الزخارف في هته الفترة انعكاس للروح الاجتماعية و الرقي المجتمعي الذي كانت تعيشه المدينة الإسلامية آنذاك، و لمعرفة هذا الأمر لا بد من التعريف بمملكة غرناطة وهي الرقعة الجغرافية المعنية بالبحث .

ثانيا: التعريف بمملكة غرناطة:

أما عن تسمية هذه المملكة فقيل أن "غرناطة أو "أغرناطة" اسم قديم يرجع إلى ما قبل الفتح العربي ، وقد اختلف المؤرخون في أصله ذهب البعض إلى أن اسم غرناطة يرجع إلى أصل قوطي، وأنه مؤلف من كلمتين"ناطة" وهي اسم لربض قديم كان يقع على مقربة من ألبيرا و"غار" هو المقطع الذي إضافة المسلمون إليها ويعني الكهف فصارت غرناطة . أو أنها تتكون من مقطعين"kurn" تعني تل "nattal" بمعنى اسم الغريب فيصبح اسم "المدينة للغرباء، وذهب فريق آخر إلى أن هذا الاسم مشتق من الكلمة الرومانية "Garnata" أي الرمانة أو أنها سميت كذلك لكثرة حدائق الرمان بها، أو أنها أنشأت على البقعة التي زرع فيها الرّمان أول مرة في إسبانيا ،أو لأنها تشبه الرمّانة المشقوقة بموقعها على تلّتين فتبدوا منازلها وسط هذا المشهر كالرمّانة المشقوقة[8].

. قامت مملكة غرناطة في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة الإيبيرية. على يد الزعيم "محمد بن يوسف بن نصر" المعروف بابن الأحمر الذي استطاع هو ذريته أن يجمعوا شتات هذه المملكة والصمود أمام المد الإسباني لمدة قرنين ونصف قرن من الزمن.

كانت تضم مملكة غرناطة ثلاثة مدن كبرى هي:

1/ **غرناطة:** في الوسط ممتدة نحو البحر وأهم مدنها:غرناطة العاصمة ، ووادي آش(Guadix) ،بسطة(Baza)حصن،اللوز(Iznalloz) ،لوشة(Loja) الحامّة(Alhama) ،المنكب(Mnecar) ،أشكر(Huexar).

2/ **ألمرية:** وكانت تقع فيما بين مرية والبحر أهم مدنها :ألمرية (Almeria) بيرة(vera) ،برشان (Purchena) ، برجة(Berja) ،دلاية(dalias).

3/**مالقة:** إلى الشرق من غرناطة أهم مدنها مالقة (Malg) قارش(Camares)، أرشدونة(Archidona)أنتقرة(Antiquera) رندة (Randa) ضمّ إليها جبل طارق (Gibaltark) الجزيرة الخضراء(Algeciras) طريف(Tarife)[9].

تشمل مملكة بني الأحمر على رواية بن الخطيب على ثلاثة وثلاثين إقليما إجمالا.

شهدت غرناطة اكتظاظا سكانيا رهيبا،فقد كانت لوحدها تضم أكثر من نصف مليون نسمة،رغم صغر رقعتها،يرجع سبب ازدحامها إلى تدفق الوافدين عليها من المناطق الإسلامية التي سقطت في يد الأسبان وبهذا نمى عمران غرناطة بسرعة فائقة ،وبرز فن العمارة في أبهى حلته معتمدا على فن الزخرفة في تزيين القصور باقي المنشآت المعمارية.

ثالثا: نبذة عن العمارة الغرناطية:

يمكن تقسيم العمارة الغرناطية ثلاثة أقسام وهي كتالي:

-العمارة الدينية:

تمثلت في المساجد والمصليات والمقابر ،من هذه المساجد نذكر: مسجد غرناطة الجامع،مسجد أبي العاص،ومسجد ربض البيازين،ومسجد القسارية ، مسجد حمزة ، مسجد الفخارين وغيرهم.

-العمارة المدنية:

تمثلت في المنازل والحمامات والقصور والبيمارستنات، لم تعرض المنزل الغرناطي لكثير من الوصف ،فقد اتجه أغلب الباحثين لوصف القصور والمساجد والحمامات لكونها كانت طفرة هندسية في ذلك الزمن. كان المنزل الغرناطي صغير الحجم يبدو الحائط الخارجي خاليا من النوافذ المطلة على شارع وبعض البيوت يتخللها نوافذ صغيرة عالية مشبَّكة خشبية تخدم غرض المشربيات معروفة بسم"المشربيات" .أُطلق على المقابر اسم "الروضة " امتازت بوجودها خارج المدينة، ذكر الباحثون أن غرناطة اشتملت على سبع مقابر هي كتالي:روضة الفقيد سعد بن مالك،مقبرة الغرباء، مقبرة العسال، جبانة باب الفخارين، روضة نُميل، مقابر القصبة القديمة، مقبرة الروضة من البيازين. أما الحمامات فكانت على صنفين:حمامات الملوك والأعيان وحمامات العامة من الشعب كما اشتملت غرناطة على عدد من "البيمرستانات " على غرار تلك الموجود في المشرق العربي بالإضافة إلى تخصيصها مستشفيات لعلاج الأمراض العقلية بصفة علمية دقيقة وهذا من مفاخر دولة بني الأحمر.

لقد انتشرت في غرناطة مجموعة من القصور الفارهة أهمها "قصر الحمراء "الذي يعد من أروع القصور في تاريخ العمارة الإسلامية وأحد أعظم الآثار الأندلسية الباقية ،وقصر"جنة العريف" الذي يتكون من مجموعة حدائق ملحقة بالقصر كان مصيفا ومتنزها لسلاطين غرناطة يقصدونه للاستجمام والاستمتاع بجماله وجمال الطبيعة المحيطة به. و"قصر شنيل.".

- **العمارة العسكرية :**

تجسدت في الحصون والأبراج التي كانت تحمل وظيفة دفاعية أهمها : حصن المنكب،حصن جيان،حصن لوجة ،حصن اللوز،بالإضافة إلى مجموعة من الأبراج التي نصبت في المروج لحماية المزارعين الذين كانوا يختبئون في داخلها كّلما داهمهم الخطر[10].

أهم ما تميّزت به العمارة الغرناطية هي خاصية "الجوانية" فقد تفننوا في زخرفة الجانب الداخلي في المنشآت المعمارية مقارنة بما هو داخلي وهذا نابع من المرجعية الدينية التي تدل على تواضع الغرناطيين وبعدهم عن التفاخر وأكد على ذلك يوسف شكري فرحان حين قال: « ما يثير الانتباه في العمارة الإسلامية الغرناطية هي اعتماد البساطة من الخارج مع كثرت الزخارف من الداخل »[11].

رابعا: القيم الجمالية في الزخرفة الإسلامية بالعمارة الغرناطية:

أقر شكري فرحان في مؤلفه بمدى روعة وجمال الزخرفة الغرناطية في قوله: «كانت الزخرفة في دولة بني الأحمر مدرسة لها خصائصها المميزة وطابعها المعروف ،لأن الصناع ورثوا عن

الإسلام وسائل التعبير الأساسية وأصبحوا أساتذة في هذا المضمار،وأوصلوا فن الزخرفة إلى ذروة الإبداع »[12].

فهذا اعتراف صريح منه بروعة وجمال وإتقان الفن المعماري الغرناطي الذي تراكم فيه بقايا الإبداع الأندلسي الذي جلبه الصناع والمبدعون والفنانون الذين احتموا بظل بني الأحمر.

كما أحصى لنا المواد التي استخدمت في الزخرفة الغرناطية حين قال: «المواد المستعملة في علمية الزخرفة هي الحجارة والآجر والجص والخزف والخشب والنحاس والحديد والرخام ،وكان الخزف البراق لرصف الأرض وبعض الواجهات،والخشب المصقول والجص والنحاس والذهب والحديد للجدران والسقوف والأبواب والنقوش المتنوعة والمُشَبَّكة والمفرغة أما الرخام فاستعمل للأعمدة ورصف الغرف والممرات والأبهاء »[13].اشتمل قوله هذا العديد من المواد الطبيعية ،من حجارة ونحاس وخشب وحديد ذهب وجص، خشب ورخام وخزف ،وتجدر الإشارة هنا أن حتى الألوان التي استخدموها في عملية التزيين كانت مستخلصة من الطبيعة ،وكان هذا من أسباب التي أدت إلى بقاء تلك الألوان على صفتها الأولى.

ومن الأمور التي أثَّرت على الجانب الجمالي في الزخرفة الغرناطية هي خاصية "الهروب من الفراغ"التي أشرنا إليها سابقا، هذه الخاصية دفعت بالفنان الغرناطي إلى كِسوة الجدران الداخلية بالزخارف الموزعة من أسفلها إلى أعلاها،حتى يظهر الحائط كأنه مغطى بسجادة او ببساط .

قامت عملية الزخرفة أساسا على تقسيم الحائط إلى مستطيلات ومربعات ومضلعات متداخلة ثم تدخل فيها التوريقات والكتابات المتنوعة وهدا ما يعرف ب"الفسيفساء".

لم يهم الفنان الغرناطي بتزيين الأرضيات والجدران فقط بل اهتم بتزيين الأسقف أيضا ، فقد«اعتنى الغرناطيون بالسقوف الخشبية المصقولة والمطعمة برقوش من مادتي الجص والعاج،ومعظم هذه السقوف يزدان بالزخارف الهندسية الملوّنة تمثل أشكالا نجمية محفورة بالخشب ومزينة بخيوط ذهبية وفضية ونحاسية،ويحيط بهذه السقوف أفاريز خشبية أو جصية مكسوة بالتوريقات والكتابات المتنوعة »[14].

تتجلى جمالية تلك الأسقف الغرناطية في "المُقَرَصَنَات" المتدلِّية من بعض السقوف ، وهذه المقرصنات نراها في سقوف الحمراء وعقودها هي في الأساس تصنع من الجص الذي يفرغ في قوالب. فالفنان يحضِّر الأشكال في قالب خشبي يعلَّقُ في المكان المعد، ليفرغ فيه الجص ثم ينزع القالب بعدما يجف. فعملية الزخرفة إذًا تقوم على القالب الذي تتنوع أشكاله ويستلزم هذا مهارة ودقة عالية في الإنجاز وصبر كبير من قبل الفنان أو الصانع.

وصف لنا أحد الباحثين مدى جمال المقرصنات فقال: «جعل الفنانون من البناء الجامد تحفة تقيّد الألحاظ في كل معالمها وتجمِّد العيون في كل جزء فلا تنتقل إلى غيره قبل أن تستكمل متعتها من الجمال »[15]. لقد عبر هذا القول بصدق عن قيمة الجمالية للزخرفة الغرناطية إذ أنها تسلب الألباب

وتجمد العيون من شدت الدهشة لان كل زخارف جميلة لدرت أن المشاهد لها لا يستطيع أن يرفع عينه عنها ويتنقل إلى غيرها لشدة جمالها وروعتها.

من التقنيات التي كانت ذات طابع جمالي في الزخرفة الغرناطية ما يعرف "نقش الحديد"أو النقش على الجص بواسطة الجص-(الجبس)- ظهرت هذه الطريقة في القرن9 بالمغرب ثم ازدهت في الأندلس خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر. « وعملية نقش الحديد تقتضي بأن يرسم الفنان بواسطة قطعة من الحديد دقيقة نقشا او كتابة فوق الجص الطري،وبعد جفافه يحفر الرسم وينقش بالحديد »[16].

أعطى الفن الغرناطي للخشب لمسة جمالية رائعة ،فصنعوا من الخشب أشكالا متنوعة، كرصف قطع صغيرة يبعضها البعض أو حفر أشكال هندسية متداخلة ، وعمدوا إلى تطعيم الخشب بالعاج والذهب والجص، وصنعوا تماثيل من خشب الأرز على شكل طيور كالبزاة والنسور وغيرها وزيّنوا بها أعالي الجدران والأبواب.

أما الأقواس فقد حملت هي الأخرى لمسة جمالية من خلال توع أشكالها وطريقة تزيينها.أهم أشكال الأقواس التي كانت في ذلك العصر نذكر:العادية لبعض الممرات الداخلية - البيضوية لمداخل الغرف العادية – نعل الفرس للمداخل الكبرى والواجهات الخارجية والشرفات – المنتفخة لمداخل القاعات– المسنَّنَة للعقود المحيطة بالأبهاء. – المقرصنة للواجهات في المجالس الرسمية والخاصة .- المتداخلة لسقوف الممرات والأبراج والأقبية. – الأقواس المتعانقة للقباب والمآذن.[17]

والأعمدة هي الأخرى كانت ذات قيمة جمالية وذلك الاعتدال حجمها ورشاقتها مقارنة بالأعمدة الضخمة ،اعترف يوسف شكري فرحان بمدى جمالية هذه الأعمدة الغرناطية وقال: « واللافت في تيجان الأعمدة في مختلف الأبنية النصرية أنها تطورت ولم تعد كما كانت سابقا ،فهي أقل ضخامة وأكثر غنى في مجال الزخرفة ،وبعض التيجان لها شكل المكعب أو المخروط،والقسم الأعلى منها أوسع من القسم الأسفل. وأما ساق العمود ،سواء كانت من الرخام الملوَّن أو الأبيض ،من الحجارة المصقولة أو القرميدية ،وسواء كانت عارية أو مغطاة بالزخارف أو ملونة ،فأنها كانت تمتاز عامة بالرشاقة والبعد عن الضخامة ».[18]

من العناصر المهمة في الزخرفة الغرناطية التي ساهمت في جمالها نذكر"التوريق" الذي سمي هكذا لاعتماده على الأوراق والإزهار.عرف هذا الفن قبل العصر الغرناطي ثم ازدهر وتطور في القرن الثامن ،تنطلق التوريقات من قاعدة أساسها المربعات والمستطيلات والأشكال كالمعين ومتعددة الزوايا ،ومن تراكم الأوراق وتكثيف الأزهار والثمار. من أجمل التوريقات ما أنجز على عهد محمد الخامس في قصر الحمراء وزخارف في جدران بهو الأسود وباحة البركة[19].

دون أن ننسى الدور الذي لعبه الخط العربي في عملية الزخرفة ، فقد أعطاها قيمة جمالية كبيرة وزاد من جمال الزخارف ،فقد كثرت الكتابات المنقوشة من آيات وأشعار وشعارات وثناء على السلطان وأقوال مختلفة نجدها على الواجهات والأبواب والجدران الداخلية للمساجد

والقصور ومختلف الأبنية والخط الغالب على تلك الكتابات هو الخط الكوفي مع اعتماد الخط النسخ في بعض الأحيان.

إن الزائر لقصر الحمراء يلحظ تلك النقوش على "باب الشريعة"هو المدخل الرئيسي لقصر الحمراء اليوم،والتي كتبت بخط أندلسي متشابك،العبارات التالية" أمر ببناء هذا المسمى باب الشريعة،أسعد الله به شريعة الإسلام كما جعله فخرا باقيا على الأيام،مولانا أمير المسلمين السلطان المجاهد العادل أبو الحجاج يوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبي الوليد ابن نصر كافي الله في الإسلام صنائعه الزاكية وتقبل أعماله الجهادية ،فتيسر ذلك في شهر المولد المعظم من عام تسعة وأربعين وسبعمائة،جعله الله عزة وافية وكتبه في الأعمال الصالحة الباقية"[20]

من هذه النقوش ما وُجدَ في فناء البركة بقصر الحمراء فقد نقشت على زواياه عبارة "النصر والتمكين والفتح المبين،لمولانا أبي عبد الله أمير المؤمنين" والآية الكريمة "ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم" كما نقشت على الرخام الأوسط لهذا الفناء قصيدة من إثني عشر بيتا مطلعها:

تبارك من ولاك أمر عباده فأولى بك الإسلام فضلا وأنعما
فكم بلدة للكفر صبحت أهلها وأمسيت في أعمارهم متحكما[21]

من تلك الأشعار المنقوشة في بهو الأسود نذكر قصيدة الوزير ابن زمرك:

تبارك من أعطى الإمام محمدا مغاني زانت بالجمال المغانيا
وإلا فهذا الروض فيه بدايع أبدى الله أن يلقى لها الحسن ثانيا
ومنحوتة من لؤلؤ شق نورها تجلى بمرفض الجمان النواعيا
يذوب لجبن سال بين جواهر غذا مثلها في الحسن أبيض صافيا
تشابه جار للعيون بجان فلم ندر منهما كان جاريا
ألم ترى أن الماء يجري بصفحها ولكنها مدت عليه المجاريا
كمثل محب فاض بالدمع جفنه وغص بذالك الدمع إذ خاف واشيا
وهل هي في التحقيق غير غمامة تفيض إلى الآساد منها السواقيا
وقد اشبهت كف الخليفة إذ غدت تفيض إلى أسد الجهاد الأياديا
فيا من رأى الأساد وهي روابض عداها الحيا على أن تكون عواديا
ويا وارث الأنصار لا عن كلالة تراث جلال يستخف الرواسيا
عليك سلام الله فاسلم مخلدا تجد أعيادا وتبلى أعاديا[22]

كما نقشت في "بهو السفراء" عبارة: "الحمد لله على نعمة الإسلام"وغيرها من العبارات كـ" لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، " العزم القائم" ، الملك الدائم " ، الملك لله وحده" .وإلى جانب بعض الأدعية التي تمجد سلاطين بني الأحمر" عز لمولانا السلطان أبي عبد الله الغني بالله"

ووُجدت أبيات شعرية منقوشة في قصر "جنة العريف" مطلعها:

قصر بديع الحسن والإحسان لاحت عليه جلالة السلطان
راقت محاسنه وأشرق نوره وهمت سحائن جوده الهتان
رمقت يدا لإبداع في أرجائه وشيا كمثل أزاهر البستان

فكان مجلسه العروس تبرجت عند الزفاف بحسنها الفتان[23].

نلحظ حضورا كبيرا لشعار مملكة بني الأحمر في النقوش "لا غالب إلاَّ الله". وخاصة في قصر الحمراء ذكر ذلك واشنطن إيرفينغ في كتابه قائلا: « إن قصر الحمراء هو كعبة زوار اسبانيا تبدوا عمارته الخارجية أقل بكثير من انطباع العظمة والجمال بداخله،المزيّنة بكل ركن فيها بالزخارف العربية الخالدة،تجعلك تشعر بأنك في معرض لهندسة عمارة المنمنمات،التي تبدوا فيها شخصية الفن العربي المعماري بوضوح مع تكرار دولتهم»[24]

لقد أضفى استخدام فن"الأربسك" في الزخرفة الغرناطية قيمة جمالية في منتهى الروعة مما لا شك فيه أن هذا الفن كان معروفا قبل هذا العصر لكن الفنانين الغرناطيين« قد ركزوا اهتمامهم على التنوع في الأشكال الهندسية أكثر من ذي قبل فغطوا بها الجدران والسقوف والأبواب والأفاريز والمنابر وواجهات المداخل ،كما رصفوا به أرض بعض الأبهاء والغرف وتأتي الرسوم الهندسية بشكل نجوم متعددة الزوايا ،فمنها ما هو بثماني الزوايا ومنها باثنتي عشرة أو ست عشرة زاوية ،وفي داخل النجوم أمثال وشعارات أو اسم الجلالة »[25]. يظهر"الاربسك" في قصر الحمراء وفي بهو بني سراج وغرفة الأختين وفي سقف قاعة السفراء وعلى جدرانها.

خاتمة:

كانت هذه أهم القيم الجمالية التي حملها الفن المعماري الغرناطي ووهبها للتاريخ هبة تتناقلها الأجيال ، فالفن باعتباره فنا ، قدَّم رسالة للمتلقي عبر الأزمنة المتتالية أن هذه الزخارف كانت نتاج حضارة إنسانية راقية ، شكلتها الثقافة الإسلامية و العربية ، ورغم توالي السنوات و وجودها اليوم في بيئة لا تدين بالإسلام و لا تتحدث العربية، إلا أنها لا تزال إلى يومنا هذا خالدة .و لا تزال عبارة " لا غالب إلا الله " تملأ الجدران تحدث الزائرين عن قرون طويلة من الإنسانية عاشتها الحضارة الإسلامية في الأندلس .

ملحق الصور: الصورة رقم01:الزخرفة النباتية[26]

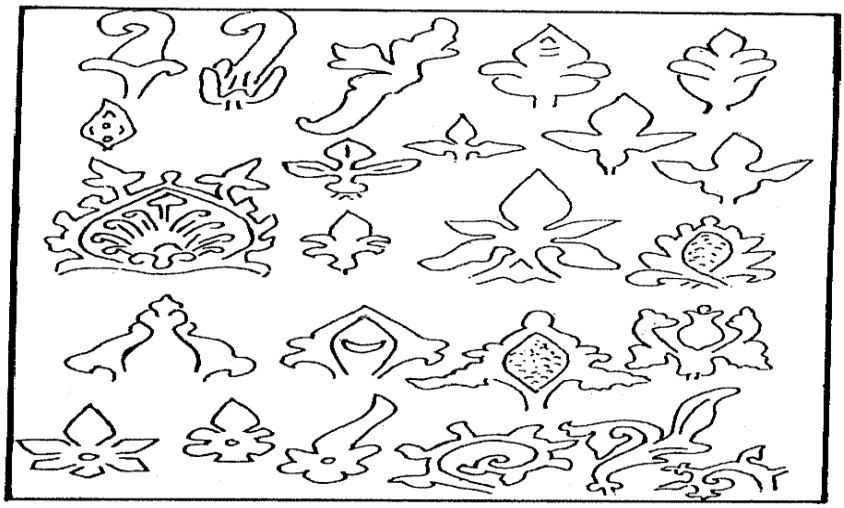

بعض الاشكال التوريقية

الصورة رقم02: أشكال الأقواس[27]

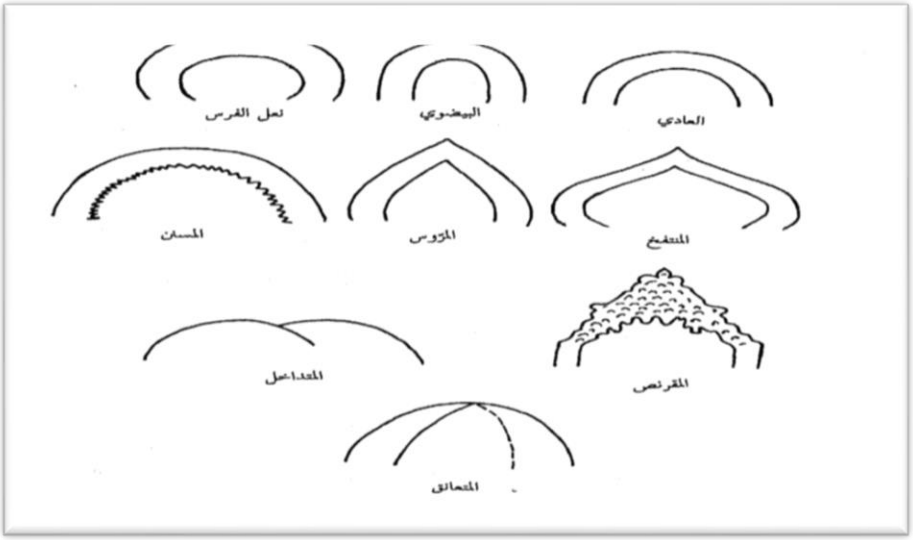

الصورة رقم03:بعض النقوش الجصية على جدران الحمراء[28]

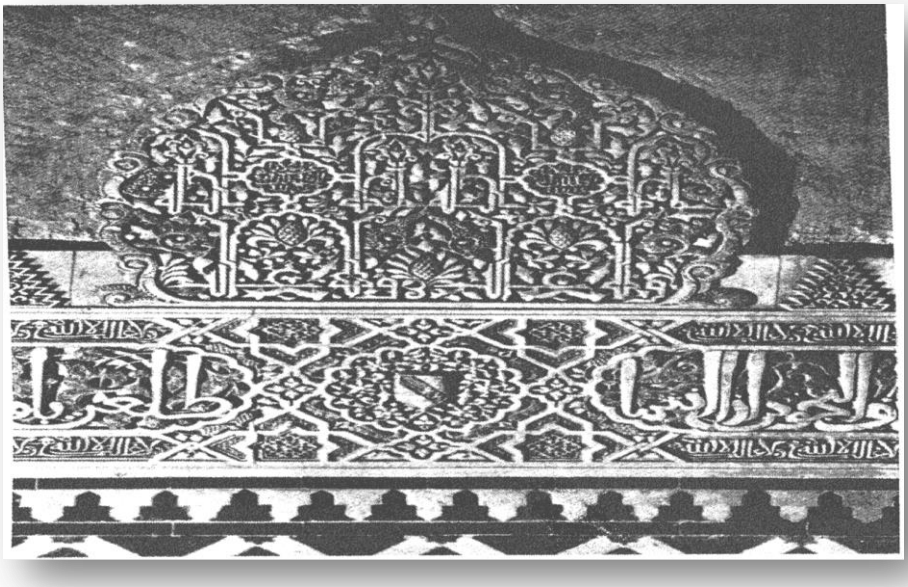

الصورة رقم04:المقصنات

الصورة رقم05: النقوش التي تحمل شعار مملكة بني الأحمر

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1- بن منظور، لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف ، النيل ،القاهرة ،د ط ، د ت ، المجلد الثالث ،مادة (زخرف).
2- عاصم محمد زورق ، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي ، ط 1، د ت.
3-- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ،إحسان عباس، دار صادر ،بيروت ، د ط سنة 1407هـ /1977 ، ج 1.
4- أحمد محمد الطوخي ،مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، ، تقديم أحمد مختاري العبادي،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،مصر سنة 1998.

5- يوسف شكري فرحان ،غرناطة في ظل بني الأحمر، ، دار بيروت ط1، 1413هـ /1993م.

6- عبد الحكيم الذنون،آفاق غرناطة- بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ، دار المعرفة،دمشق ط 1، 1408هـ /1988م.
7- عبد الله عنان ،دولة الإسلام في الأندلس –العصر الرابع- نهاية الأندلس ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط 1، سنة 1998

8-واشنطن إيرفيغ الحمراء ،قصة أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على الأندلس ، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، سنة 1988،دط.

9- رزقي نبيلة ،الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلس(القرن7-8هـ /13-14) – دراسة تحليلية مقارنة ، رسالة دكتوراه في العلوم ،تخصص علم الآثار والمحيط ، جامعة تلمسان ،2014-2015 .
10- المشهور في فنون الزخرفة عبر العصور ، محي الدين طالو،د ط ،د ت.

11- مجلة كلية الفنون الجميلة ، جامعة بابل – العراق - المهندس ضياء محمود محمد ، التوريق (الأرابيسك) 2016 .
12- مجلة بدر ،مجلة وطنية محكمة ،جامعة بشار سنة2018، المجلد10،العدد 07، الأبعاد الحضارية للفن المعماري الغرناطي.

الهوامش:

[1] - لسان العرب ،بن منظور ، تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف ، النيل ،القاهرة ،د ط ، د ت ، المجلد الثالث ،مادة (زخرف).

[2]-- معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، عاصم محمد زورق ، مكتبة مدبولي ، ط 1، د ت، ص132.

[3]- ينظر:الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلس(القرن7-8هـ /13-14) –دراسة تحليلية مقارنة –، إعداد رزقي نبيلة ، إشراف معروف بلحاج ، رسالة دكتوراه في العلوم ،تخصص علم الآثار والمحيط ، جامعة تلمسان ،2014-2015 ،ص15.

[4]- معجم مصطلحات العامرة والفنون الإسلامية ،عاصم محمد زورق،ص133.

[5]- المشهور في فنون الزخرفة عبر العصور ، محي الدين طالو،د ط ،د ت ، ص67.

[6] ينظر:المرجع نفسه ،ص68.

7 الأرابيسك : نوع مهم من الزخرفة ابتكرها المسلمون واصطلح مؤرخوا الفنون الأوروبيين على تسميتها " Arabesque" الزخرفة العربية ، وأطلق عليها العرب المحدثون اسماءً متعددة كالرقش العربي والتوشيح العربي والتوريق العربي ، لأنها تعبّر بحق عن طبيعة تكوينها و الروح العربية التي تغلب عليها

- مجلة كلية الفنون الجميلة ، جامعة بابل – العراق - المهندس ضياء محمود محمد ، التوريق (الأرابيسك) 2016 .

[8]- ينظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ،شهاب الدين أحمد بن محمد المقري،إحسان عباس، دار صادر ،بيروت ، د ط ، سنة 1407هـ /1977 ، ج 1 ، ص148.

[9]- ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، تقديم أحمد مختاري العبادي،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،مصر سنة 1998، ص50.

[10]- ينظر بتصرف: الأبعاد الحضارية للفن المعماري الغرناطي، لحلو سمهان ،مجلة بدر ،مجلة وطنية محكمة تصدرها جامعة بشارسنة2018، المجلد10،العدد 07، ص ص(732.736)..

[11]- غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحان، دار بيروت ط1، 1413هـ /1993م ص154.

[12]-المرجع نفسه ص161.

[13]-المرجع نفسه ،155.

[14]-المرجع نفسه، ص نفسها

[15]-المرجع نفسه ص157

[16]- المرجع نفسه ص158

[17]-ينظر المرجع نفسه ص160.

[18]-المرجع نفسه ص161

[19]-ينظر: المرجع نفسه ص164.

[20] - آفاق غرناطة- بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي ،عبد الحكيم الذنون، دار المعرفة،دمشق ط 1، 1408هـ /1988م ، ص83

[21]ينظر: دولة الإسلام في الأندلس –العصر الرابع- نهاية الأندلس، عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط 1، سنة 1998،ص ص(295-298).

[22] - المرجع السابق ، ص102

[23]المرجع نفسه ص299

[24] - الحمراء قصة أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على الأندلس،واشنطن إيرفيغ، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، سنة 1988، دط، ص47

[25]-المرجع نفسه ص166

[26] المرجع نفسه ص187

[27]- المرجع نفسه160

[28] -المرجع نفسه ص163